﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨﴾ [الحجر: 68]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

دَعوةٌ عاقلةٌ لتَفادي الخِزيِ والعارِ، بالاعتداءِ على الضّيوفِ الأبرارِ

لَمّا جاء قومُ لوطٍ المُفسدون علمَ بمجرَّدِ مَجيئِهم بوادرَ شرِّهم وفسادِهم وما جالَ في خاطرِهم، فباشرَهم بالقولِ الذي قالَه لعلَّهم ينتهون.

وأيضًا لمّا جاء قومُ لوطٍ إليه كان كأنَّه قيل: فماذا قال لهم لوطٌ، فجاءت هذه الآيةُ.

شَرحُ المُفرَداتِ:

1) ﴿تَفۡضَحُونِ﴾: أصلُ (فضح): الكشْفُ، يُقال: فَضَحَ الإناءَ فَضْحًا، أيْ: كَشَفَهُ ولم يَسْتُرْهُ، وأكْثَرُ ما يُسْتَعْمَلُ في السوءِ والقُبْحِ[1]، والفَضيحةُ: اسْمٌ لِكُلِّ أمْرٍ سَيِّءٍ يَشْهَرُ صاحِبَهُ بما يَسوءُ[2]، والافْتِضاحُ: ظُهورُ العَيْبِ وانْكِشافُهُ. الفَضْحُ: الإظْهارُ والتَّبْيينُ، يُقال: فَضَحَ اللِّصَ: إذا أظْهَرَهُ وبَيَّنَ حالَهُ، وفَضَحَ الصُّبْحُ الرَّجُلَ: إذا اسْتَنارَ وتَبَيَّنَ وهو نائِمٌ[3]. ويأْتي بِمعنى التَّشْهيرِ والتَّعْريفِ[4]. ومِن مَعانيهِ أيضًا: ظُهورُ اللَّوْنِ القَبيحِ في الشَّيْءِ[5]. والمقصودُ بالفَضْحِ في الآية: شُهْرَةُ حالٍ شَنيعَةٍ.

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

التَّشميرُ لِمراعاةِ حقوقِ الضّيفِ مِن سُنَنِ المُرسَلين

فائدةُ التّأكيدِ بـ﴿إِنَّ﴾ في السّياقِ:

التَّأكيدُ بـ﴿إِنَّ﴾ ليس لإنكارِ قومِه أنَّهم ضيفُه، بل لتَحقيقِ اتِّصافِ

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضح).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (فضح).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (فضح).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (فضح).
(5) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة: (فضح).

الملائكة بوصفِ الضَّيف، وإظهارِ اعتنائِه بشأْنِهم، وتَشمُّرِه لمُراعاةِ حُقوقِهم وحِمايتِهم مِنَ السّوءِ[1].

دَلالةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

الضّيفُ بمنزلةِ القريبِ في النَّسبِ، صيانةً وحمايةً

لَمّا اقترن اسْمُ الإشارةِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذي هو للقريبِ بلفظِ الضَّيفِ أفاد أنَّه أراد تَمييزَهم أكملَ تَمييزٍ لتعظيمِهم، وللإشعارِ بأنَّهم بمثابةِ الأقرباءِ له بضيافتِهم عليه[2].

دَلالةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿ضَيۡفِي﴾:

الاعتناءُ بالضَّيفِ وإكرامُه من سُنَنِ المُرسَلين

لَمّا كانتِ الإضافةُ على معنى اللّامِ أفادت هنا اخْتِصاصَهم به عليه السلام، على معنى العنايةِ بهم وتكريمِهم.

بَلاغةُ الكنايةِ في قولِه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾:

حقُّ الضّيفِ على المُضيفِ، الإكرامُ والاحترامُ

جاء الكلامُ على طريقِ الكنايةِ بذكْرِ الضّيفِ ليُفيدَ بلازمِه وجوبَ إكرامِهم وعدمِ إهانتِهم والتّعرُّضِ لهم بأيِّ سوءٍ.

سببُ مجيءِ الفاءِ في قولِه: ﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾:

مَنْ أهانَ الضّيفَ، أهانَ المُضيفَ

لَمّا نبَّه لوطٌ قومَه إلى أنَّ الذين عنده هم ضيْفُه، ومن حقِّ الضّيفِ إكرامُه أفادتِ الفاءُ الترتُّبَ، ليكونَ الكلامُ بتقديرِ: إنَّ هؤلاء ضيفي فلا تُؤذوهم، أو فلا تُهينوهم، أو فلا تُسيئوا إليهم فتفضحون، فإنَّ من أهانَ الضّيفَ أهانَ المُضيفَ[3].

بَلاغةُ الكنايةِ في جملةِ ﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾:

صلاحُ ربِّ البيتِ، دليلٌ على صلاحِ أهلِ البيتِ قاطبةً

لَمّا نهاهُم عن فضيحتِه دلَّ بلازمِه على شُهرةِ أهلِ بيتِ لوطٍ عليه السلام عند الخلْقِ بالصَّلاحِ والأمنِ وحُسنِ الضّيافةِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿تَفۡضَحُونِ﴾:

عبَّرَ بلفظِ ﴿تَفۡضَحُونِ﴾؛ للإشعارِ بأنَّ ما تريدونَه مِنَ الفعلِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/85.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/74.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/489.

الشُّذوذُ لا تتقبّلُه العقولُ السّليمةُ، ولا النّفوسُ المُستقيمةُ

القبيحِ بضيفي هو حالةٌ شنيعةٌ منكم لضيفي، بمعنى ستُظهرون من أمري ما يكونُ عارًا عليَّ[1]، ولمّا كانتِ الفضيحةُ اختصَّتْ بما هو عارٌ على الإنسانِ عند ظهورِه وكانت شهرةَ حالٍ شنيعةٍ[2]، أفاد التّعبيرُ بها الإيذانَ بأنَّ ما تفعلونَه منَ الفاحشةِ أمرٌ شنيعٌ لا تتقبّلُه العقولُ وتشمئزُّ منه النّفوسُ.

بَلاغةُ حذْفِ مُتعلِّقِ ﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾:

مَن أساءَ إلى الضّيفِ فقد أساءَ إلى المُضيِّفِ

حُذفَ مُتعلِّقُ الفعلِ لإفادةِ العُمومِ، بمعنى فلا تفضحوني بفضيحة ضيفي عندَهم ولا عندَ الخلقِ، كما يحتملُ أن يكون الحذفُ بمعنى: لا يكنْ منكم فضحٌ لي، فيكونُ على معنى النّهيِ عنِ الاتّصاف بأيِّ شناعةٍ يكونُ بسببِها فضحٌ لي؛ لأنّ من أساء إلى ضيفه أو جارِه فقد أساء إليه، كما أنَّ من أكرم من يتّصلُ به فقد أكرمَ[3].

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 12/628.

(2) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/173، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/66.

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السّنّة: 6/453، والزمخشري، الكشاف: 2/585.